جامعا: رشيد باشا والعتيق بمدينة بنغازي ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م &١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م " دراسة آثارية معمارية "

د. مصطفي فرج علي البركي•

ليبيا شأنها كشأن عديد من دول شمال إفريقيا التي خضعت للحكم العثماني - يوجد فيها عديد من الجوامع والمساجد التي شيدت في تلك الفترة بمراحلها الثلاث[١] ، بيد أن اختياري قد وقع على مثالين فقط من جوامع ذلك العصر ، ويرجع ذلك لعدة أسباب، أود أن أسوقها في بداية هذا البحث وهي كالتالي :

١. هذان الجامعان هما الوحيدان في ليبيا اللذان بنيا على طراز المساجد العثمانية ذات القبة المركزية ، حيث إن هذا النوع من المساجد قد شاع في تركيا والولايات العثمانية بعد فتح القسطنطينية وتحويل كنيسة أيا صوفيا الى مسجد ، بيد أن هذا النوع من تخطيط المساجد لم تعرفة ليبيا إلا بعد عدة قرون من فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م ، وظلت محافظة على طراز المساجد العثمانية المبكرة، المتأثر بالطراز السلجوقي ، حيث يقسم بيت الصلاة بواسطة صفوف من الاعمدة تحمل بدورها صفوفا من العقود تتقاطع بشكل عمودي وموازي لجدار القبلة فينتج عن ذلك عدداً من المربعات يسقف كل منها بقبة صغيرة ، كما في جامع درغوث باشا والناقة بطرابلس والجامع العتيق بدرنة وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

٢. جامع رشيد باشا : أول جامع في مدينة بنغازي يسقف بقبة ، حيث إن كل مساجد بنغازي قبل هذا التاريخ كانت تسقف بأسقف مسطحة[٢]، وظل استخدام

• محاضر مساعد كلية الآداب - جامعة بنغازي – ليبيا

١- استمر الحكم العثماني لليبيا ما يزيد عن أربعة قرون ونصف ، قسمت هذه الفترة الطويلة إلى ثلاث مراحل:-المرحلة الأولى وتعرف بالعصر العثماني الأول وقد بدأت عام ١٥٥١م واستمرت حتى عام ١٧١١م ، وفى هذه الفترة كانت ليبيا تابعة تبعية مباشرة لعاصمة الخلافة العثمانية في تركيا ، حيث كان توليه الولاة وغيرها من أمور الولاية تتم بموجب فرمانات يصدرها الباب العالي، أما المرحلة الثانية وتعرف بعصر الأسرة القرمانلية، وتمتد زمنياً من سنة١٧١١م إلي سنة ١٨٣٥م ، وهى فترة حكم الأسرة القرمانلية، حيث استطاع أحمد باشا القرمانلي مؤسس هذه الأسرة إرساء دعائم حكم وراثي ، إذ لم تعد البلاد في عهدهم تتبع الدولة العثمانية إلا من الناحية الاسمية فقط ، و كانت شبه مستقلة. أما المرحلة الثالثة : فتعرف بالعصر العثماني الثاني ، وتمتد من سنة ١٨٣٥م ، وحتى سنة ١٩١٢م ، وفى هذه المرحلة استطاعت الدولة العثمانية إعادة السيطرة على ليبيا مرة أخرى بعد قضائها على حكم القرمانليين فعادت تبعية ليبيا المباشرة إلى العاصمة العثمانية.

٢- غاسبريميسانا، المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب علي الصادق حسنين، طرابلس (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ص ٢١٨.

المنارة للاستشارات
www.

القباب قاصراًفقط علي الأضرحة التي كانت في أغلب الأحيان قوامها حجرة مربعة تعلوها قبة قليلة الارتفاع ، وتدهن باللون الأخضر ، وبذلك أصبح للقباب دلالة دينية ارتبطت في أذهان الناس بأضرحة الأولياء والصالحين.

٣. جامع رشيد باشا بني خصيصاً لرواد المذهب الحنفي الذي ساد انتشاره في الدولة العثمانية حيث كانت ليبيا على المذهب المالكي ، فأراد العثمانيون بناء مسجد على مذهبهم ليصلوا فيه وفي نفس الوقت - محاولة نشر مذهبهم الحنفي، حيث إن هذا الجامع كان يعرف بين الناس بجامع الحنفية.

٤. يتشابه الجامعان في تخطيط بيت الصلاة إلي حد يصل لدرجة التطابق، مع بعض الاختلافات البسيطة التي سأذكرها عند الحديث عن أوجه الشبة وأوجه الاختلاف بين الجامعين ، حيث شغل المعمار جل مساحة بيت الصلاة في كلا الجامعين بقبة مركزية قائمة على أربع دعامات ضخمة، كونت مربعاً يتوسط مساحة بيت الصلاة تعلوها أربعة عقود حملت بدورها القبة المركزية ، وتم تسقيف ما تبقى من مساحة بيت الصلاة كالزوايا بقباب ضحلة، كما هو الحال في معظم المساجد المتأثرة بالتخطيط المبكر أو الكلاسيكي المتمثل في جامع أياصوفيا .

٥. يعد جامع رشيد باشا الجامع الوحيد في المدينة الذي لا يزال محافظاً على تخطيطه وعناصره الأصلية ، فلم يطرأ عليه تحديث أو تطوير يغير من معالم تخطيطه ، كما أن مئذنته وقبته يعدان أقدم الأمثلة في المدينة ، فضلاً عن احتواء الجامع على قبر ضم رفات منشئه حتى عامين ماضيين، حيث نبش القبر ونقل الرفات إلي مقبرة حديثة .

٦. الجامع العتيق هو آخر مسجد شيده العثمانيون في مدينة بنغازي[٣]، وعلى الرغم من كونه الأخير بيد أنه لم يكن إلا الثاني من نوعه في المدينة من حيث التصميم والضخامة بعد جامع رشيد باشا الذي شيد قبلة بسنوات قليلة ، فلم تعرف المدينة أكبر منهما ، فضلاً عن كونهما شيدا من قبل ولاة عثمانيون ، وهذا يميزهما عن غيرهما من الجوامع والمساجد التي كانت في الغالب تشيد بالجهود الذاتية للأهالي أو من قبل ميسوري الحال من التجار والأعيان بالمدينة

أولاً: جامع رشيد باشا في بنغازي:

يقع هذا الجامع بمدينة بنغازي بالقرب من ساحل البحر بين الميناء القديمة وحي المنارة، بشارع عصمان[٤]، وهو محاط في بعض جهاته بالشوارع والبيوت ، الأمر الذي جعل المساحة التي يشغلها غير منتظمة الحدود لتتماشى مع حدوده الخارجية.

٣- غاسبريميسانا، المرجع السابق ، ص٢٢٦.

٤- مسعود رمضان شقلوف وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا ، ج١ ، الدار العربية للكتاب،طرابلس ١٩٨٠م، ص ٢٨٠.

المنارة للاستشارات
www.

ينسب بناء هذا الجامع إلى حاكم برقه رشيد باشا ، ورشيد باشا أو الحاج رشيد كما يذكره اغلب من كتبوا عن تاريخه وكما دون على شاهد قبره - كان يشغل وظيفة مهمة في الجيش العثماني حيث كان ميرميران[٥](أمر لواء). وقد تولى الحكم في برقة عام ١٨٨٢م خلفاً للوالي علي كمالي باشا[٦]، واستمر بالولاية حتى عام ١٨٨٥م ، وقد تولى رشيد باشا الحكم مرة ثانية فترة من الزمن امتدت من ١٨٨٩-١٨٩٣م[٧]، خلفاً للمتصرف حسن تحسين باشا ، بيد أن ولاية برقة في هذا الوقت تراجعت إلى متصرفية بعد أن كانت ولاية ، ولكنها مرتبطة مباشرة بالباب العالي ، وقد ترقى رشيد باشا حينئذ من رتبة أمر لواء إلى رتبة فريق[٨].

وقد شيد رشيد باشا جامعه هذا في فترة حكمه الأولى عام ١٨٨٥م ، حيث بناه على طراز المساجد التركية ذات القبة المركزية التي تغطي معظم أرجاء بيت الصلاة، وألحق به عدداً من الحوانيت وأوقفها عليه للصرف من ريعها علي عمارة المسجد وأرباب الوظائف ، وكان الحاج رشيد قد أعد لنفسه قبل وفاته قبراً داخل الجامع وأوصى أن يدفن فيه.

وكان بموضع هذا المسجد مسجد قديم صغير كان يعرف بمسجد بوقلاز تأسس عام ١٧٤٠م[٩] ، وقد عرف مسجدنا الحالي بهذا الاسم نسبة لمؤسسه الأول بوقلازالبرغثي.

وفي سياق دراسة هذا المسجد يمكن أن نقسمهإلى عدة أجزاء على النحو التالي :-

بيت الصلاة :

يشغل بيت الصلاة في هذا المسجد أغلب مساحته فهو مربع الشكل طول ضلعه خمسة عشر مترا تقريبا ، تم تقسيمه بشكل هندسي إلى ثلاث بلاطات ، بحيث تكون عرض البلاطتين الجانبيتين مقاربة إلى عرض البلاطة الوسطى البالغة ٦م، وهو أمر عرفته معظم المساجد العثمانية المشيدة في الأناضول منذ وقت مبكر.

---

٥ - وهي كلمة فارسية ، تعني بالعربية أمير الأمراء ، وتقابل بالتركية لقب بكلر بكي . مصطفى بركات ، الألقاب والوظائف العثمانية ، دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات (١٥١٧-١٩٢٤م) ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ٦٥.

٦- محمد مصطفى بازامه، بنغازي متصرفليك، تاريخ برقة في العهد العثماني الثاني، دار الحوار الثقافي العربي الأوروبي،قبرص(١٩٩٤) ج٣، ص٣٣٧.

٧- محمد مصطفى بازامه،المرجع نفسه ، ص ٣٦٨

٨- محمد مصطفى بازامه،المرجع نفسه ، ص٣٦٩.

٩ - الأب فرانشيسكو روفيري، عرض للوقائع التاريخية البرقاوية، التاريخ الكرونولوجي لبرقة(١٥٥١- ١٩١١م)، ترجمة إبراهيم احمد المهدوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس٢٠٠٣م، ص١٥٨.

المنارة للاستشارات
www.

يتوسط بيت الصلاة أربعة دعائم ضخمة مربعة القطاع طول ضلع الواحدة منها ١.٣٠م ، وهي مجتمعة تشكل مساحة مربعة طول ضلعها ستة أمتار ، هي تحمل أربعة عقود نصف دائرية تحمل بدورها قبة مركزية قطاعها على هيئة عقد نصف دائري، ومن الملاحظ إن أرجل العقود في بيت الصلاة قد ربطت بأوتار حديد صلدة ذات قطاع مربع وذلك لتشد بعضها البعض ولا تنفتح بواسطة الثقل الناتج من العقود والقبة ، وهو بذلك يشترك مع الجامع العتيق الموجود بمدينة بنغازي أيضاً[١٠]، وسقفت باقي المساحة المتبقية من قاعة الصلاة بقبيبات وأقبية صغيرة وضحلة[١١](شكل رقم١).،

تعد قبة هذا الجامع من أقدم القباب القائمة في مساجد بنغازي ،حيث أن مساجد بنغازي لم تكن تسقف بقباب بل بأسقف مستوية من الخشب[١٢]، ويرجع ذلك لان هذه المساجد بنيت بالجهود الذاتية المتواضعة لسكان المدينة ، وقد بلغ قطر هذه القبة ٦م ، وبواسطة مثلثات كروية قام المعمار بتحويل الشكل المربع إلى دائري ليقيم عليه الرقبة التي تحمل القبة والتي بلغ ارتفاعها ١.٥م فتحت بهذه الرقبة ثمانية نوافذ مستطيلة تعلوها عقود منبطحة طول ضلع الواحدة ٨٠سم تقريبا ، اما الارتفاع الكلي للقبة من قمتها إلى أرضية المسجد فقد بلغ حوالي ١٣م (لوحة رقم١).

السُدة :

نظرا لضيق مساحة المسجد الي فرضتها طبيعة قطعة الأرض التي بني عليها وما يحيطها من بيوت سكنية وشوارع ، وضبط مساحة بيت الصلاة لتتجهباتجاه القبلة وما نتج عن ذلك من زيادات غير متساوية الأبعاد في الجهات الثلاث من بيت الصلاة (الغربية والشرقية والشمالية) ، كل هذه الأسباب مجتمعة جعلت المعمار يلجألإقامة السدة وتوظيفها لخدمة احتياجات المسجد ، فإذا حاولنا حساب المساحة التي أضافتها هذه السدة لمساحة المسجد نجدها تجاوزت (١٣٠م^{٢}) وهي مساحة ليست بالقليلة تنم عن عبقرية المعمار وقدرته على استغلال كل جزء من البناء لتوسيع مساحة المسجد (لوحة رقم٦).

يمكن الوصول إلى السدة عن طريق درج يمتد داخل الصحن إلى اليمين من الداخل عبر الصحن من المدخل الرئيس ، والسدة هنا تحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات دونما جهة القبلة ،هي قائمة من الجهة الغربية على ذلك الممر الضيق غير منتظم الأبعاد الذي يقع على يمين الداخل لبيت الصلاة من المدخل المقابل لجدار القبلة ، وهي قائمة من الجهة الشرقية فوق المحال التجارية التي تطل على شارع

١٠- غاسبريميسانا، المرجع السابق، ص ٢١٥ .

١١- عبد الستار محمد الفقيه، مساجد بنغازي القديمة، الهيئة العامة للأوقاف، بنغازي، ١٩٩٦م، ص ٩٥.

١٢- عبدالستار محمد الفقيه ، الرجع السابق ، ص ٩٤.

المنارة للاستشارات
www.

عصمان ، أما من الجهة الشمالية ا فهي تستند على الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة والذي يقع على يسار الداخل للصن من المدخل الرئيس.

ويحف بالسدة من جهاتها الثلاث المطلة على بيت الصلاة درابزين من الخشب يبلغ ارتفاعه ٦٠ سم، قوامه عوارض أفقية محشورة بين الأكتاف تحصر بينها قوائم من خشب الخرط .

وفي طرف السدة من جهة القبلة توجد خلوة صغيرة (١٠.٢×٢.٦٠م)، بها خزانه جداريه كانت مخصصة لشعرة الرسول(صلى الله عليه وسلم)، وهي عادة سار عليها اغلب الولاة العثمانيون ، وكان لمثل هذه الأشياء أثرا كبيرا في نفوس رواد تلك المساجد للتبرك بآثار النبي (صلى الله عليه وسلم)، كما إننا لا نعلم هل هي فعلا من شعرات النبي (صلى الله عليه وسلم) أم إنها ملفقة لجذب الناس ليصلوا بهذا المسجد ، وفي يوم الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام كان يقام في هذا الجامع احتفال بمناسبة المولد النبويحيث كان الناس يأتون للمسجد لرؤية الشعرة التي يتم إخراجها للناس في ذلك اليوم، واستمر الأمر على هذا النحو حتى اختفت الشعرة من المسجد عام ١٩٧٧م ،ولم يعرف لها مكان حتى اليوم .

أما إذا نظرنا إلى وظيفة هذه السدة وإمكانية استغلالها والاستفادة منها ، فيمكن أن تُستغلكمصلى للنساء، أو بمثابة خلوات لتحفيظ القرآن الكريم، او استيعاب أعدادإضافية من المصلين في صلاة الجمعة وفي الأعياد والمناسبات الدينية.

الصحن :

إذا ما سلمنا بنظرية التشابه التي سلم بها المهندس الايطالي غاسبريميسانا بين هذا الجامع والجوامع السلطانية العثمانية المشيدة في استانبول، فان صحن هذا الجامع يختلف عن الصحون الملحقة بالمساجد العثمانية التقليدية فهي في العادة يتقدمها صحن يحيط به رواق معقود ومسقف بقباب او أقبية متقاطعة يحيط به من ثلاث او أربع جهات ، فالصحن في مسجدنا هذا جاء صغيرا ومتواضعا مستطيل الشكل وغير منتظم الأبعاد، يبلغ في أقصى اتساع له (١٧×٤م) .

وقد حوى المسجد عديد من المرافق ووسائل الاتصال والحركة : كالدرج المؤدي إلى السدة الذي يقع على يمين الداخل من المدخل الرئيس ، وكذلك ميضأة حديثة في الجهة المقابلة للمدخل ،وفي نفس الجهة بالقرب من بيت الصلاة يوجد المدخل المؤدي إلى سلم المئذنة ، وكذلك المدخل المؤديإلى ضريح رشيد باشا والذي يقع على يسار الداخل من المدخل الرئيس مباشرة بعد انتهاء المجاز ، وأسفل كل ذلك يوجد صهريج (ماجل) يشغل اغلب مساحته يستفاد منه في تجميع مياه الإمطار لاستعمالها لخدمة المسجد.

وقد أعزى المهندس ميسانا السبب في صغر مساحة صحن مسجدنا هذا لوجود عدداً من البيوت الصغيرة التي تحيط بالجامع من بعض جهاته، وان ضمها

المنارة للاستشارات
www.

إليه يسبب إلحاق الضرر بمصالح جمع غفير من الناس الذين كان يشتد بهم العوز والفقر بقدر ازدياد تعلقهم بممتلكاتهم[١٣].

الرواق :

يتقدم بيت الصلاة في جامع رشيد باشا رواق عرضه ٢م تقريبا وطوله يربو على ١٥م. وقوامه ستة عقود متجاوزة بها دبب خفيف ، ترتفع بارتفاع الطابق الأرضي ، وتستند على أكتاف مبنية بالحجارة المنحوتة ولها تيجان مربعة من جهة الصحن تمتد بشكل مواز لجدار القبلة ، وتتقاطع مع هذه العقود عقود أخرى تمتد بشكل عمودي على جدار القبلة ، وهي تستند على أكتاف الرواق من جهة الصحن وعلى جدران بيت الصلاة من الجهة الأخرى.

وقد نتج عن تقاطع عقود الرواق الممتدة بشكل مواز وعمودي على جدار القبلة ستة مربعات عمد المعمار إلى تسقيف كل منها بقبو متقاطع حيث أن هذا الرواق يحمل فوقه الجزء المواجه لجدار القبلة من السدة سالفة الذكر .

ويوجدبالرواق حنيتين تشبه المحاريب ارتفاعها حوالي ٢م ، وعرضها ٠.٧٥م ، وعمقها في سمت الجدار ٠.٤٠م يتوج كل منهما عقد نصف دائري وربما يكون السبب من إنشاءها بهذه الطريقة إرشاد المصلين خارج بيت الصلاة إلى الاتجاه الصحيح للقبلة، فضلا عن إضفائها نوعا من الجمال وكسر الملل الناتج عن الجدران المصمتة .

المئذنة :

تقع مئذنة هذا الجامع في الركن الشمالي الغربي من بيت الصلاة وهي جزء لا يتجزأ منه، وقد أثرت في مآذن بنغازي المبنية في نهاية العصر العثماني ، فهي مبنية على الطراز العثماني ومازالت استانبول تحتفظ بمآذن شبيه لهذا الطراز.والناظر إلى المسجد من الداخل يلاحظ قاعدة المئذنة قد برزت بداخله مما أعاق تواصل السدة التي شغلت المجنبتين والمؤخرة ، لذا فقد اضطر المعمار إلى تعليق سدة خشبية للربط بين المجنبة والمؤخرة[١٤] .

المئذنة تقوم على قاعدة مربعة لا يمكن تمييزها عن بيت الصلاة إلا عند سطحه، طول ضلع القاعدة (3.30م) وارتفاعها (9.80م)، وهي مجوفة فتح بها ست فتحات للإضاءة والتهوية مزغلية الشكل ، ولتحويل النهاية العلوية للقاعدة من الشكل المربع إلى شكل البدن المثمن قام المعمار بشغل زوايا القاعدة بأربعة مثلثات هرمية الشكل.

فتح مدخل المئذنة بأسفل قاعدتها، وقوامة فتحة مستطيلة(0.70م × 1.90م)، يعلوها عقد نصف دائري، وهو مشغول بباب من الخشب، ويحيط بالمدخل من الخارج أطار حجري بارز على شكل عقد يعلوه إفريز حجري أكثر بروزاً.

١٣- غاسبريميسانا، المرجع السابق ، ص ٢٢٠.

١٤- مصطفى فرج البركي ، تطور عمارة المئذنة في المساجد الليبية خلال العصر العثماني ، رسالة ماجستير ، جامعة بنغازي ، ٢٠٠٩م ، ص ٩٦.

المنارة للاستشارات
www.

يتم الصعود إلى المئذنة عن طريق درج يتألف من (101) درجة عرض كل منها (0.65م)،وارتفاعها (0.22م)ثبت على حواف هذه الدرجات لاحقا أثناء الصيانة أشرطة من الحديد لحمايتها من التهشيم، وحماية المؤذن من الزلق، والدرج يلتف بشكل حلزوني حول لب اسطواني يبلغ قطره(0.30م).

اما البدن فيمكن تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء ، يفصل بين كل منها إطار حجري بارز، الجزء الأسفل مثمن الشكل طول ضلعه (1.20م) ، ويصل ارتفاعه إلى (2.30م) يزينه من الخارج أشكال هندسية غائرة على هيئة نوافذ صماء. أما الجزء الأوسط فيتكون من (16)ضلع، طول كل منها (0.60م)وارتفاعه (0.50م)وهو يعد منطقة انتقال بين الجزء الأول المثمن والجزء الثالث الاسطواني. تزين الجزء الثالث أخاديد طولية من الأعلى إلى الأسفل تنتهي أيضا بإطار حجري بارز، والجدير بالملاحظة إن الأخاديد التي تزين بدن هذه المئذنة لم نجدها في أي مئذنة في ليبيا سوى مئذنة قصر البركة في بنغازي ، والتي ترجع لنفس الفترة وتنسب لرشيد باشا أيضا[١٥]، والتي هدمت عام 1989م.

يبلغ ارتفاع البدن بأجزائه الثلاثة (12.45م) وثخنه (0.70م) فتح خلاله ست فتحات للإضاءة والتهوية، أبعاد كل منها (0.20م× 1.00م) مزغلية الشكل، فضلاً عن فتحة سابعة فتحت بأسفل البدن كمخرج يؤدي لسطح المسجد أبعاده (0.65م× 1.80م).

أما الشرفة فهي أسطوانية الشكل تبرز عن سمت جدار الرقبة(0.75م) علقت بواسطة ثلاثة أفاريز حجرية تدرجت في بروزها نحو الخارج من الأسفل إلى الأعلى، وعوضاً عن الحاجز الحجري الذي تعودنا عليه في مآذن طرابلس فقد استعاض المعمار عنه بسياج (درابزين) من الحديد ارتفاعه (1م) ثبت في أرضية الشرفة، ولعل سبب ذلك تخفيف الثقل على الشرفة التي سقط جزء من أفاريزهامؤخراً يؤدي للشرفة مخرج فتح في الرقبة قوامه فتحة مستطيلة (0.60م ×1.80م) وهو غير مشغول بباب.

والرقبة أسطوانية الشكل يصل ارتفاعها إلى (2.60م) وقطرها الداخلي(1.40م) ، وسمك جدارها من خلال فتحة المخرج (0.45م) يتوجها مخروط قمعي من الخشب الملبس من الخارج برقائق من الرصاص ، ويصل ارتفاعه إلى (٢،٧٠م)، يدعم المخروط جائزة خشبية مربعة طول ضلعها (0.20م) تثبتها سقالات خشبية وضعت بشكل أفقي وحشرت أطرافها في جدران الرقبة، يخرج من قمة المخروط حلية

١٥- تقع هذه المئذنة داخل قصر (قشلة أو ثكنة) البركة وهي تشبه لحد كبير مئذنة رشيد باشا فهي مندمجة بمبني المسجد ولا تتميز عنه إلا من السطح فما فوق، وهي تقوم على قاعدة مربعة يعلوه جزء مثمن من البدن ثم جزء أخر يتكون من 16ضلع مزينة بزخارف هندسية وجزء ثالث اسطواني مزين بأخاديد طولية غائرة، وللأسف تهدمت هذه المئذنة سنة 1989م.(جمعة المهدي كشبور، المآذن القديمة في مدينة بنغازي، مجلة أثار العرب، العدد الثالث، سبتمبر 1991م، ص83.)

المنارة للاستشارات
www.

نحاسية قوامها سفود يحمل كرتين بدون هلال، ومن المحتمل إن الهلال الذي كان يتوج الحلية قد سقط ولا اثر له اليوم.

إما ارتفاع المئذنة الكلي فانه يبلغ(28.00م) تقريباً من الأرض وحتى قمة مخروطها، وهي مبنية بكتل من الحجارة الرملية، مجللة من الخارج والداخل بطبقة من الجص.

وفي الختام تجدر الإشارة إلى إن المئذنة بدأت تتصدع (لوحة رقم٤)وتحتاج إلى صيانة فورية ، لاسيما وان أجزاء من شرفتها بدأت تسقط بالفعل وربما تلحق أضرارا بالمصلين الذين يرتادوا المسجد للصلاة إذا سقط المزيد منها وربما تنهار بالكامل.

الضريح :

قوام الضريح في جامع رشيد باشا حجرة صغيرة مستطيلة الشكل أبعادها (١٩٠×٢٤٠ سم) تقع في أقصى شمال الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة، لها فتحتان الأولى عبارة عن المدخل المؤدي للضريح والذي ينفتح على الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة ، وأبعاده (٩٠×١٩٠ سم) ، والفتحة الثانية هي عبارة عن نافذة تطل على داخل بيت الصلاة يغشيها شبكة من قضبان الحديد للحماية أبعادها (١١٥×١٨٠سم)

تحوي حجرة الضريح قبران متجاوران خصص الغربي لرشيد باشا ، وقوامه تركيبة مستطيلة من الرخام الرمادي اللون ارتفاعها قرابة المتر ، يعلوه شاهدا قبر احدهما أمامي والأخر خلفي على الطريقة العثمانية ، حيث جاءت الشواهد اسطوانية الشكل ، ارتفاع كل منهما (١٦٠ سم) وقطره (٣٠سم) .

سجل على كل منها كتابات باللغة التركية فحواها عبارات دعائية لرشيد باشا وتذكير بأفضاله وخدماته الجليلة التي قدمها لولاية برقة ، كما يتضمن كل من الشاهدين تاريخاً لوفاه رشيد باشا ، مرة بالتقويم الهجري وأخرى بالتقويم المالي للدولة العثمانية[١٦]، كما أن الشاهدين ازدانا ببعض الزخارف قوامها مجموعة من أوراق الأكانثس (شوكة اليهود) نحتت بشكل بارزاً أسفل الشاهدين ، ويزدان الشاهد الأمامي من أعلى بشعار ربما يمثل رتبة الفريق الحاج رشيد باشا.

أما عن الكتابات التي تضمنتها شواهد القبر فهي مكتوبة بخط الثلث ، وبحروف بارزة جاءت في عشرة اسطر لكل شاهد ، بيد أن هذه الأسطر كانت منفصلة عن بعضا البعض بواسطة أطر محفورة حيث أن كل سطر كان على شكل شريط بارز بيضاوي الشكل ، وقد نشر في موسوعة العمارة الإسلامية ترجمة لهذه الكتابات ، قام بها الأستاذ جمال الدين الداغستاني من سوريا[١٧]، بيانها كالتالي :

١٦- جمعة المهدي كشبور، مراجعة نقدية لكتاب "مساجد بنغازي القديمة" ، مجلة الثقافة العربية، العدد الخامس ، السنة ٢٧، مايو ، ١٩٩٩م ، ص ٣٦.

١٧- مسعود رمضان شقلوف وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج١، الدار العربية للكتاب،طرابلس ١٩٨٠م ، ص٢٨٦-٢٨٧.

المنارة للاستشارات
www.

نص الشاهد الأول

١- هذه حصاد حياة فانية.
٢- الموت دواء ناجح.
٣- للبشرية كالحمل المتحجر.
4- لقد هم بالحياة وبذل.
٥- للبقاء وبهذا الأمل.
٦- أمل الحياة حزني وأسفي على.
٧- ساكن هذه الروضة.
٨- رشيد باشا.
٩- في ٤ شعبان ١٣١٠هـ.
١٠- يوم الثلاثاء.

نص الشاهد الثاني

١- الباقي هو الله.
٢- خدمات جليلة قدمها لوطنه.
٣- فقيد بنغازي.
٤- قضى فيها قائدها ومتصرفها أكثر من مرة
٥- انتقل إلى مثواه الأخير مخلد.
٦- ذكرى مصداقه عمر وحياة.
٧- هنا المرقد الأخير للحاج الفريق.
٨- رشيد باشا إلى روحه.
٩- الزكية الفاتحة.
١٠- في شباط(فبراير)سنة١٣٠٨يوم الثلاثاء.

وفي يوم الخميس الموافق العاشر من شهر ربيع الأول سنة ١٤٣٣هـ ، الثاني من فبراير سنة ٢٠١٢م قامت مجموعة من الشباب بنبش قبر رشيد باشا ونقلت رفاته إلى مقبرة الهواري ، وهدم بذلك الضريح ، ورميت الشواهد على الأرض ، وظلت هكذا حتى قامت مراقبة آثار بنغازي بقلها إلى مخزن المصلحة ، وهي مازالت بحالة جيدة ولم تتعرض للكسر.

يقع هذا الجامع وسط مدينة بنغازي القديمة ، يحده من الغرب ميدان البلدية ، ومن الشمال شارع سيدي سالم ، ومن الشرق والجنوب سوق الظلام ، والجامع يقع بالقرب من جامع رشيد باشا المتقدم دراسته ، ويطلان معاً على ميدان واحد ، وهو يشبه إلى حد التطابق - تخطيط جامع رشيد باشا مع بعض الاختلافات البسيطة ، حيث أن الجامع العتيق لا يحتوي على صحن ، ومئذنته منفصلة عن بيت الصلاة ، والمساحة الموجودة في أركان الجامع العتيق سقفت بأقبية منخفضة بينما سقفت بقباب في جامع رشيد باشا ، ولم يلحق بالجامع العتيق ضريح بينما الحق بجامع رشيد باشا ضريح ضم قبره ، والجامعين الذين نحن بصدد دراستهما هما المثالين الوحيدين في ليبيا الذين بنيا على نمط المساجد العثمانية ذات القبة المركزية ، وفي ختام هذه الدراسة سيتم تفصيل أوجه الشبة والاختلاف بين الجامعين.

شيد الجامع الحالي على أنقاض مسجد قديم أرجح الأقوال انه بني في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، حيث يذكر دي أوجستيني، صاحب كتاب سكان ليبيا: أنه سمع رواية من بعض سكان بنغازي مفادها أن هذا الجامع شيد منذ ٤٠٠ سنة من قبل شخص يدعى عبد السميع القاضي ،إلاأننا لمنجد وثيقة تاريخية تؤكد ذلك[١٨]، وان أقدم ما لدينا من وثائق تخص هذا الجامع نشرها عبد الستار الفقيه في كتابه مساجد بنغازي القديمةفهي تذكر بان حفيد عبد السميع القاضي كان إماما للمسجد

١٨- عبد الستار محمد الفقيه ، الرجع السابق ، ص ٧٢.

المنارة للاستشارات
www.

العتيق عام ١٢٥١هـ (١٨٣٥م)والجامع الحالي تم تشييده في نهاية العهد العثماني الثاني في فترة حكم طاهر باشا (١٨٩٢/١٩٠٣م) ، تحديدا في عام ١٨٩٤م.

بيت الصلاة :

يشغل بيت الصلاة في الجامع العتيق مساحة شبة مستطيلة أبعادها (١٩.٥٥م ×١٦.٢٥م)يتوسط بيت الصلاة أربع دائم ضخمة ،يقابل هذه الدعامات ثمان دعائم أخرى مندمجة بالجدران اثنتين في كل جهة ، وتحمل هذه الدعامات عقودا نصف دائرية تشكل الدعامات الأربع التي تقع في منتصف بيت الصلاة مساحة مربعة تنتصب فوقها قبة مركزية يبلغ قطرها ستة أمتار(لوحة رقم ١١)، وقد نتج من تقاطع العقود جميعا مساحات اختلفت في حجمها منها مساحات مربعة وأخرى مستطيلة ، وأكبرها المربع التي أقيمت عليه القبة المركزية ، فبعضها عبارة عن قبيبات بيضاوية صغيرة الشكل كما في الزوايا الأربع ، وبعضها الأخر أكثر استطالة من قبيبات الزوايا وهي التي تحف بالقبة المركزية من جهاتها الأربع (شكل رقم ٧).

القبة المركزية الأصلية(لوحة رقم ٨) بهذا الجامع سقطت عام ١٩٠٥م ، وقد كان شكلها مشابها لقبة جامع رشيد باشا قطاعها على هيئة عقد نصف دائري ، وبعد سقوط القبة الأولى شرع الأتراك في استبدالها بقبة أخرى هي القبة الموجدة إلى يومنا هذا ، حيث اختلفت في بعض تفاصيلها عن سابقتها ، فهي في المجمل نصف كروية بيد أنها قائمة على رقبة مثمنة يبلغ ارتفاعها قرابة المترين (لوحة رقم ٨)، فتح بكل ضلع نافذة لإضاءة بيت الصلاة[١٩]، يتوج هذه النوافذ عقود نصف دائرية تحيط بها حليات حجرية لها امتدادات إلى أعلى القبة ، حيث تلتقي عند دائرة كبيرة تتوسط قمة القبة من الداخل فتضفي عليها طابعاً زخرفياً رائعاً بحيث تقسمها إلى ستة عشر ضلعاً[٢٠].

المحراب :

أما عن محراب الجامع فقوامه حنية عمقها ١.٢٠م ، متوجة بعقد قطاعه نصف دائري محمول على عمودين أسطوانيين لكل منهما تاج أسطواني ذي زخارف محفورة حفرا بارزا ، وللمحراب زخرفة إشعاعية تشع من قرص يشبه رسم الشمس أو الصدفة ، وعلى واجهة المحراب زخرفة من أوراق نباتية تنبثق من صرةأو جامة عددها ثلاث عشر ورقة ،ويحيط بحنية المحراب وعقده عقد أخر أكثر اتساعا وارتفاعا يتألف من مجموعة صنج ، وقد وضع كل ذلك داخل مستطيل ملئ الفراغ بينه وبين عقدي المحراب بزخارف قوامها مجموعة من البلاطات الخزفية (القاشاني) ، ويعلو المستطيل زخرفة منحوتة قوامها مستطيل يمتد بشكل أفقي فوق المحراب قسم بدوره إلى ثلاثة مستطيلات ، ويتوج هذا المستطيل صف من المسننات التي تشبه أسنان المنشار ، ويعلو ذلك نافذة أحيطت بإطار زخرفي يشبه ذلك الذي

١٩- عبد الستار محمد الفقيه ، الرجع السابق ، ص ٨٢.

٢٠- مسعود رمضان شقلوف وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج١، ص٢٦٣.

المنارة للاستشارات
www.

أحاط بالمحراب ، وكل هذه التركيبات الزخرفية تكون وحدة واحدة منسجمة ومتناغمة وتدل على مهارة الفنان الذي قام بعملها

المئذنة :

تقع مئذنة هذا الجامع (المزالة) في جنوب فناء مستطيل لليسار من بيت الصلاة ، وبشكل منفصل عنه وبارتفاع خمسة عشر مترا ، وتتكون من قاعدة كبيرة مربعة الشكل في ضلعها باب يؤدي إلى سلم حلزوني يتألف من ٧٢ درجة ، ويعلو هذه القاعدة بدن اسطواني الشكل تتخلله نوافذ صغيرة لإضاءة السلم ،ويأخذ البدن في الاتساع عند نهايته ليكون الشرفة الوحيدة للمئذنة ، ويعلو الشرفة رقبة المئذنة وهي أيضا اسطوانية الشكل بيد أن قطرها اقل من قطر البدن نفسه ، تنتهي المئذنة ببرنس مخروطي الشكل ، وهي تذكرنا بهيئة كثير من المآذن التركية لاسيما مئذنة جامع علاء الدين في مدينة نغدة .

إن جميع المصادر التي ذكرت هذا المسجد وخاصة كتاب المعمار الإسلاميلغاسبريميسانا وموسوعة الآثارالإسلامية في ليبيا تجمع على أن المسجد بني في أوائل القرن السادس عشر على يد شخص يدعى عبد السميع القاضي ، ثم قام طاهر باشا (١٨٩٢-١٩٠٣م) بتجديد معظم بنائه ، وان البناء القائم اليوم يعود لعهد الأخير .

إنأقدم وصف لهذا المسجد ومئذنته نجده عند الرحالة هاملتون الذي زار مدينة بنغازي عام ١٨٥٠م ، حيث يصفها بقوله :" إنها مدينة تشبهإلى حد ما مجموعة كبيرة من الأكواخ الطينية ولا يظهر منها سوى مزيدة"[٢١] (مئذنة) .

اما الرحالة سميث وبورتشري الذي زار المدينة عام ١٨٦١مفيصفها بانها "مدينة يحيط بها حزام من أشجار النخيل ويرى فيها مئذنة فريدة" ، ويؤكد هذين الوصفين صورة فوتوغرافية التقطت لشاطئ مدينة بنغازي تظهر فيها بوضوح مئذنة المسجد العتيق بنفس هيئتها ذات البدن الاسطواني والشرفة الواحدة والقمة المخروطية ،.

وفي عام ١٨٨٢م يصف الرحالة هايمان المسجد العتيق قائلاً "يوجد في الميدان (يقصد ميدان البلدية) جامع سوق الظلام الكبير " وهو وصف يتطابق مع رسم لميدان البلدية يعود لعام ١٨٨١م، حيث تظهر به نفس المئذنة والى جوارها مبنى لمسجد صغير من طابق واحد منخفض لا قباب عليه (لوحة رقم٧).

إلاأن هذه الأوصاف تتغير فجأة بعد وصول طاهر باشا للحكم وإحداث تجديداته على المسجد حيث نجد الرحالة الحشائشي يصفه بقوله :" جامع كبيرة به منارة عظيمة " ، كما يظهر المسجد في صورة التقطت له مطلع القرن العشرين وقد أصبح مبنى كبير يتألف من طابقين تعلوه قبة مركزية ، مع احتفاظ المئذنة بنفس

٢١- مسعود رمضان شقلوف وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، ج١، ص٢٦١.

المنارة للاستشارات
www.

هيئتها التي ظهرت بها في صور عام ١٨٦٠م و١٨٨٢م ، دون أي تغيير يذكر (لوحة رقم٨) ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن طاهر باشا عندأعادة بنائه لبيت الصلاة في الجامع العتيق أبقى على المئذنة القديمة للجامع ، وبذلك يمكننا القول بان المئذنة تعود لزمن أقدم من زمن طاهر باشا ، ومع قلة المصادر التي تناولت هذا الجامع ومئذنته فإننا لا نستطيع تحديد زمن بناءها ، إلا انه من المؤكد أنها تعود لفترة سبقت زيارة الرحالة هاملتون للمدينة عام ١٨٥٠م .

الدراسة المقارنة بين جامعي رشيد باشا والجامع العتيق :-

١. مساحة بيت الصلاة اكبر قليلا في الجامع العتيق مقارنة بجامع رشيد باشا .
٢. سقفت زوايا الجامع العتيق بأربع قبيبات بها استطالة اقتربت معها للشكل البيضاوي ، وهذا على عكس قبيبات الأركان في جامع رشيد باشا التي جاءت نصف كروية .
٣. أحاطت ببيت الصلاة من الداخل في جامع رشيد باشا سدة علوية من جميع الجهات فيما خلا جهة القبلة ، عكس الجامع العتيق الذي جاءت سدته في الجهة المقابلة لجدار القبلة فقط .
٤. اختلف تصميم الدعامات الحاملة للقبة المركزية في الجامعين ، حيث ان شكل الدعامات في جامع رشيد باشا عبارة عن تقاطع شكل مربع مع شكل مستطيل ، بينما اختلف تصميم دعامات الجامع العتيق حيث استبدلت زوايا المربع بأرباع دوائر على جانبيها زوايا صغيرة .
٥. ويكمن الاختلاف في الجامعين من حيث الزخارف التي كانت اكثر ثراء واتقانا في الجامع العتيق مقارنتا بجامع رشيد باشا .
٦. القبة في الجامع العتيق جاءت مضلعة من الخارج والداخل ، على عكس قبة جامع رشد باشا الملساء من الخارج والداخل والتي خلت من أي نوع من أنواع الزخارف .
٧. مئذنة الجامع العتيق ذات بدن املس بينما نجد ان مئذنة جامع رشيد باشا مضلعة من الخارج واكثر زخارف من مئذنة الجامع العتيق ، كما ان مئذنة الجامع العتيق تم استبدالها في الربع الأخير من القرن العشرين بمئذنة حديثة مضلعة لا تمت بصلة للمآذن العثمانية .
٨. وهناك ثمة اختلافات بسيطة بمحرابي جامع رشيد باشا والجامع العتيق تكمن في وجود شكل أشبه بالصدفة يعلو تجويفة المحراب في الجامع العتيق على عكس جامع رشيد باشا الذي جاء وفق الطريقة التقليدية حيث علت تجويفة المحراب نصف قبة ، فضلا عن استخدام كسوة من البلاطات الخزفية تحف بمحرابي الجامعين على حدا سواء .

المنارة للاستشارات
www.

٩. الجامع العتيق لم يزود بالصحن التقليدي الذي عرف في المساجد الأولى بصفة عامة والعثمانية بصفة خاصة ، على عكس جامع رشيد باشا الذي زود بصحن وان كان حجمة صغير .

المنارة للاستشارات
www.

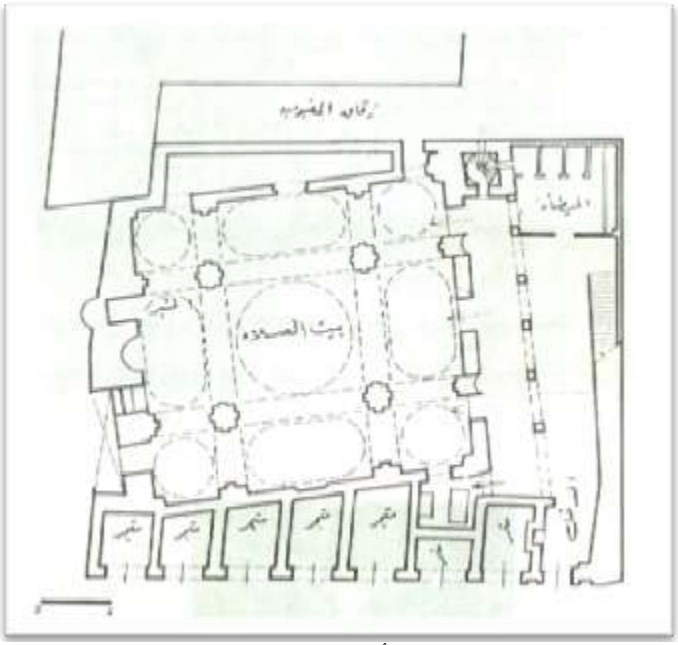

شكل (١) مخطط الطابق الأرضي لجامع رشيد باشا (عن الفقية)

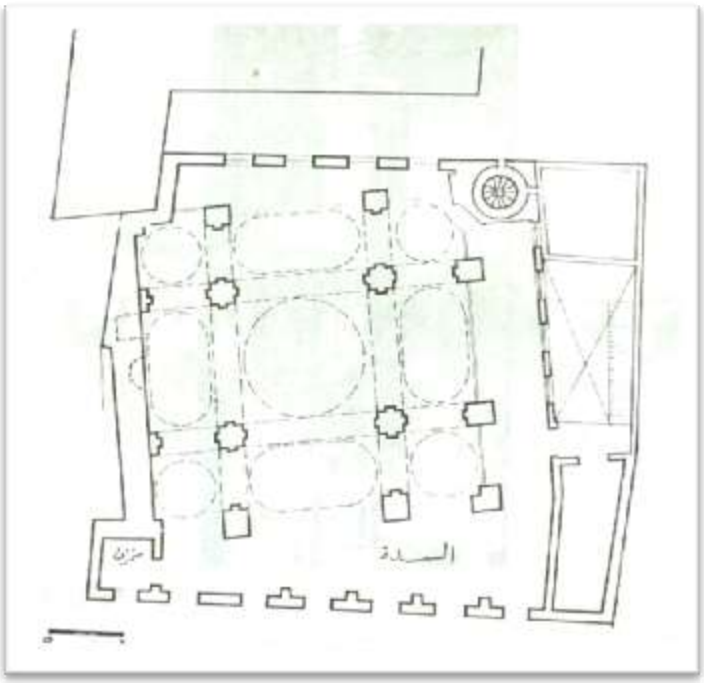

شكل (٢) مخطط الطابق العلوي لجامع رشيد باشا (عن الفقية)

المنارة للاستشارات
www.

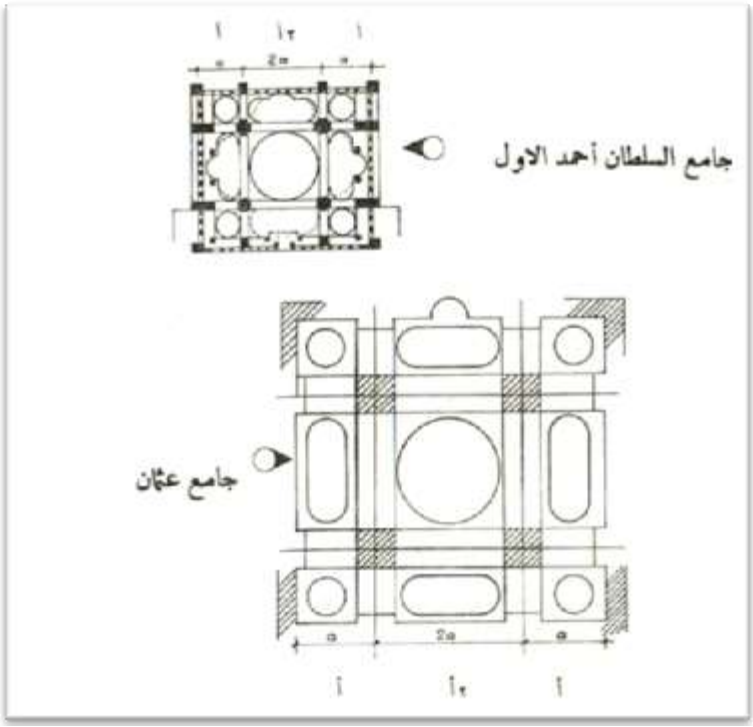

شكل (٣) مقارنة بين مخططي جامع رشيد في بنغازي وجامع السلطان احمد الاول باستانبول(عن ميسانا)

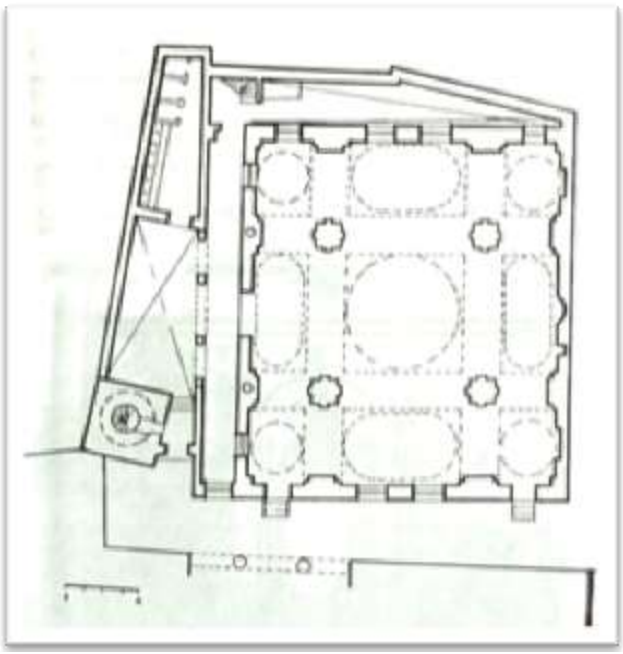

شكل (٤) مخطط الجامع العتيق بداية القرن العشرين (عن الفقيه)

المنارة للاستشارات
www.

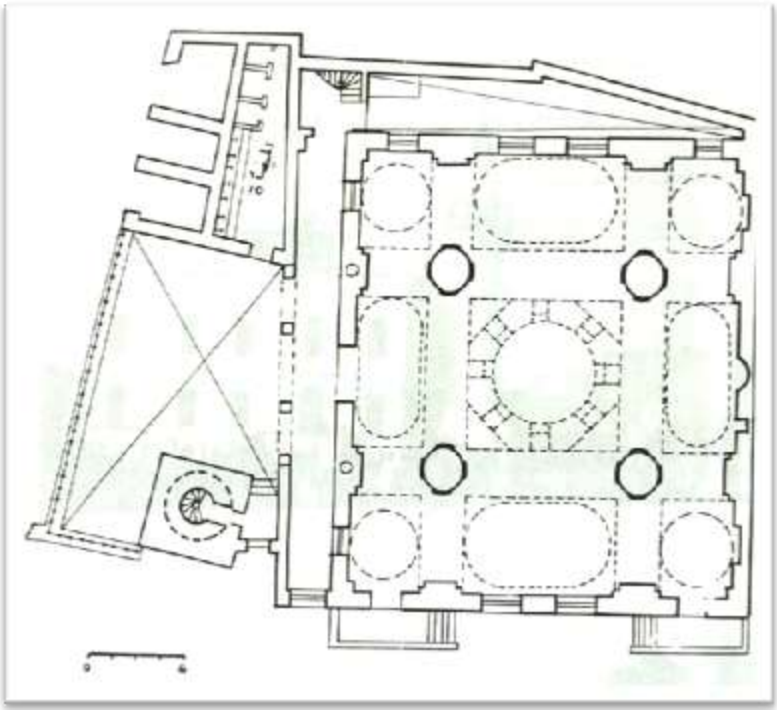

شكل (٥) مخطط الجامع العتيق والتحسينات التي طرات عليه (عن الفقيه)

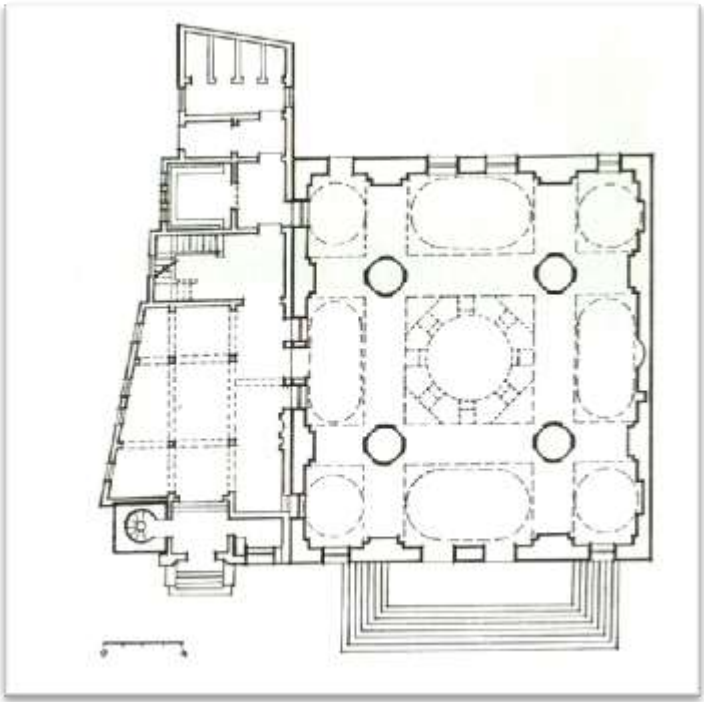

شكل (٦) مخطط الجامع العتيق عام ١٩٧٣م (عن الفقيه)

المنارة للاستشارات
www.

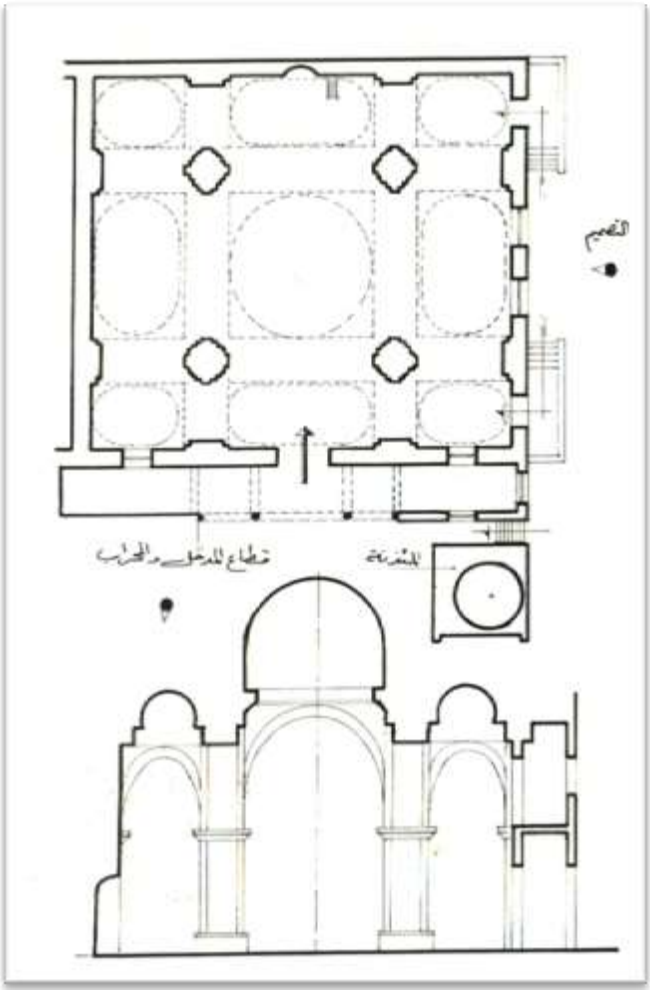

شكل (٧) مخطط الجامع العتيق وقطاع طولي في بيت صلاته (عن ميسانا)

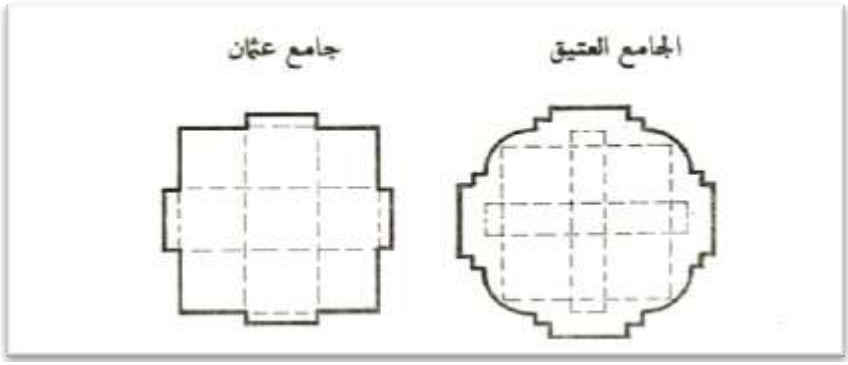

شكل (٨) مقارنة بين الدعامات التي تحمل القبة المركزية في جامعي رشيد باشا والعتيق (عن ميسانا)

المنارة للاستشارات
www.

لوحة (١) صورة قديمة لجامع رشيد باشا منتصف القرن ٢٠م

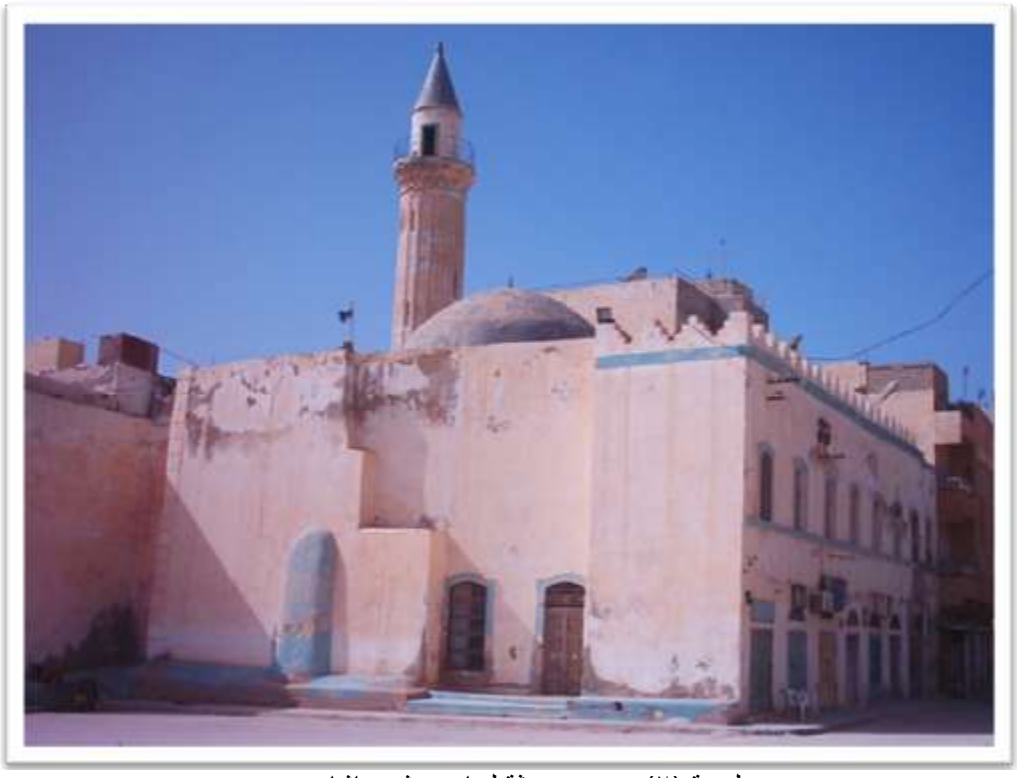

لوحة (٢) صورة حديثة لجامع رشيد باشا

المنارة للاستشارات
www.

لوحة (٣) صورة تبين السدة ومنطقة الانتقال وجزء من قبة جامع رشيد باشا

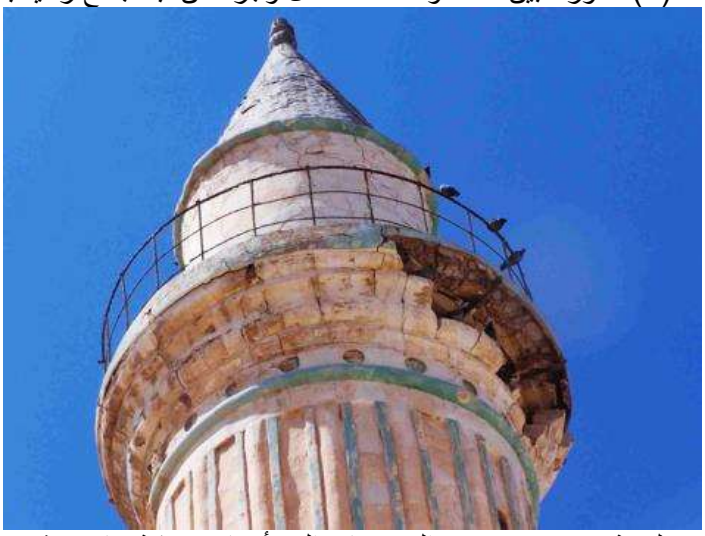

لوحة (٤) صورة تبين التصدعات التي أصابت مئذنة جامع رشيد باشا

المنارة للاستشارات
www.

لوحة (٥) محراب جامع رشيد باشا

لوحة (٦) السدة بجامع رشيد باشا

المنارة للاستشارات
www.

لوحة (٧)رسم لميدان البلدية للرحالة هايمانيعود لعام ١٨٨١م

لوحة (٨) صورة قديمة لميدان البلدية يظهر بها الجامع العتيق ومئذنته وقبته القديمة ، وجامع رشيد باشا بدايات القرن الفائت

المنارة للاستشارات
www.

لوحة (٩) ميدان البلدية ويظهر الجامع العتيق ومئذنته القديمة في منتصف القرن الماضي تقريبا

لوحة (١٠) صورة حديثة لميدان البلدية ويظهر الجامع العتيق ومئذنته المجددة

لوحة (١١) صورة من داخل الجامع العتيق تظهر القبة المركزية ومنطقة انتقالها

المنارة للاستشارات
www.